

معاوية بن يزيد: معاوية الثاني (14هـ/641م)

٥٩ / ٢٢٥ اني ظاهرة أموية فريدة لم تحمل المصادر التاريخية من أخباره إلا مائة سنة ومرضه، وموقفه الخاص من الخلافة، إذ فكر في التنحي عن الخلافة، بعد قليل من مبايعته، وترشيح رجل آخر، بعد ما رأى انقسام المسلمين، وعدم قدرته على لم شملهم، إلا أنه لم يجد الرجل المناسب، فعزم على بعمر بن الخطاب في اختيار ستة أشخاص ينتخب الخليفة من بينهم، فلم يفلح، عندئذ ترك الأمر شورى للمسلمين يولون أمرهم من يشاؤون وتغيب في منزله، حتى توفي بعد ثلاثة أشهر من خلافته وغاب في النسيان مخلفاً وراءه أزمة حكم قليم الاقتداء خطيرة بعد وفاة يزيد كانت هناك بيعتان إحداهما في الشام لمعاوية بن يزيد، والثانية بمكة والحجاز العبد الله بن الزبير، فانكفأت بذلك سيطرة دولة الخلافة الأموية وتقلص نفوذها السياسي، فلم تتعد منطقة بلاد الشام.

ووجدت الخلافة الأموية نفسها بعد وفاته في موقف صعب بعد أن عمت الفوضى أرجاء العالم الإسلامي. ففي العراق، اشتعلت نار العصبية القبلية بعد قرار عبيد الله بن زياد من البصرة تحت ضغط الأحداث السياسية وأدى ذلك إلى سيطرة العف حيث كانت كل قبيلة تحمي مصالحها. وللتخلص من هذا المأزق بعثت كل من الكوفة والبصرة بالوقود إلى مكة لإعلان البيعة لابن الزبير، فأرسل هذا الأخير لهما العمال من قبله، أما في الحجاز، فكانت بيعة ابن الزبير، كما وصلته وفود من قنسرين وحمص ومصر تبايعه، ودخل أهل فلسطين في طاعته وانقسم أهل الشام بين مؤيد لابن الزبير وبين مدافع عن مكتسبات الخلافة الأموية، فخطب له على سائر منابر الإسلام إلا منير طبرية من بلاد الأردن حيث رفض ٦٠ / ٢٢٥ ك بن بحدل الكلبي أن يبايعه وأراد الخلافة لخالد بن يزيد بن معاوية . العالم الإسلامي على وشك تحقيق وحدته السياسية مرة أخرى بزعامة عبد الله بن الزبير .

مروان بن الحكم (64-65هـ / 644-685 م)

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك. ولد في حياة النبي ، وكان ابن ثماني سنوات حين توفي الرسول . وهو صحابي عند طائفة كثيرة من المؤرخين وإن كان ابن سعد بعده في الطبقة الأولى من التابعين.

عمر روى مروان حديثاً في صلح الحديبية كما روى عن طائفة من الصحابة منهم بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وهو رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. أما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه و اعتبار خلافته والتلفت إلى فتواه والانقياد إلى روايته كان ذا شهامة ومرؤة وشجاعة ومكر ودهاء عمل مروان كاتباً لابن عمه عثمان بن

عفان وكان صاحب سره، وحمله الناظمون على عثمان مسؤولية ما زعموا أنها أخطاء وقعت من الخليفة، كما اتهموه بأنه هو الذي كتب الكتاب الذي زعم الثوار المصريون أنهم وجدوه مع غلام عثمان. لكن مروان أنكر علمه بالكتاب كما أنكر عثمان نفسه ذلك .

وقاتل مروان في الدار أثناء حصار عثمان، ثم انضم إلى عائشة وطلحة والزبير هم يوم الجمل وأمنه علي بعد ذلك، فبايعه مروان وعاد إلى المدينة لم يحضر صفين مع معاوية ورغم ذلك فقد ولاه المدينة بعد أن أضحى خليفة .

الأحداث السياسية في عهد مروان

أمؤتمر الجابية (٦٤هـ / ٦٨٤م):

اجتمع بنو أمية في دمشق في ظل انقسام العالم الإسلامي لإنقاذ خلافتهم المهدة بالسقوط، وكانوا أسرى القوى القبلية المتنافسة والمتصارعة سياسياً وعسكرياً التي تعاضم نفوذها مع انهيار الحكم المركزي وتفرق الأسرة الحاكمة .

فالحزب اليمني بقييلته كلب النافذة في البلاط الأموي، وهي عصب الدولة وقوتها بزعامه حسان بن مالك كان متشدداً في الحفاظ على امتيازاته، فقد تمسك بالأمويين، وخشي مناصروه من انتقال الخلافة إلى الحجازيين بعد أن ظلت في الشام منذ أن نقلها معاوية إليها.

أما الحزب القيسي الذي استاء من محاربة يزيد لأهل المدينة"، وقد وصل مع زعيمه الضحاك بن قيس الفهري إلى مكانة كادت تنافس الحزب اليمني. ومنحته الأحداث السياسية، بعد وفاة معاوية الثاني، مركزاً متقدماً من خلال منصبه كأمر لبلاد الشام، حيث أتيح له أن يملأ الفراغ بصورة غير رسمية، وفي الوقت نفسه، وجد القيسيون في ظل تضعف الأسرة الأموية، في دعوة ابن الزبير لهم فرصة أخرى تمكنهم من التغلب على الكلبيين وانتزاع مواقع القوة من أيديهم، وهي المواقع التي اكتسبوها من تحالفهم مع معاوية ، فأعلن الضحاك ولاءه لابن الزبير الذي عينه ممثلاً له في بلاد الشام . وتفرقت كلمة الأمويين وتنافسوا على منصب الخلافة، فتوزعت ولاءاتهم بين ثلاثة مرشحين :

- فقد أيد حسان بن مالك، خالد بن يزيد بن معاوية . ومال بعض القادة إلى مروان بن الحكم" وساند فريق ثالث عمرو بن سعيد بن العاص .

وأخيراً اتفقت عدول بني أمية على عقد مؤتمر في الجابية ليتداولوا فيمن يولونه الخلافة، ترأسه حسان بن مالك، وكان مروان الأوفر حظاً نظراً لشيخوخته وتجربته، حيث اعتبر مؤهلاً للحكم في

ظروف استثنائية . وانتهي المؤتمر لمصلحة هذا الأخير حيث اختير خليفة بإجماع الحاضرين. وخرج الكلبيون ممن أيدوا خالد بن يزيد بترضية حيث اختير مرشحهم ولياً للعهد، على أن تكون الخلافة من بعده لعمر بن سعيد وبذلك انتقل الملك من الفرع السفيناني إلى الفرع المرواني، والحدث كلمة اليمانيين، ونجح التحالف الأموي – اليماني في إعادة توحيد الموقف السياسي من مشكلة الحكم.

ب – معركة مرج راهط:

كان اختيار مروان بن الحكم خليفة خطوة موفقة من وجهة النظر الأموية، لكن ما زالت تعترضه صعوبة تدليل عقدة القيسيين، فقد استاء الضحاك بن قيس من خروج الأمر من يد ابن الزبير، فغادر دمشق إلى مرج راهط، إلى الشرق منها، وعسكر هناك، وانضم إليه النعمان بن بشير والي حمص وزفر بن الحارث أمير قنسرين، وكان واضحاً أنهم يستعدون للحرب فكان على مروان أن يثبت أنه أهل الحمل عبء المسؤولية والدفاع عن الخلافة، وهكذا توضحت المواجهة بين الطرفين وأسفر الصراع عن وجهه القبلي، وظهرت بوادر حرب أهلية وحقق مروان أول نجاح سياسي له عندما استولى على دمشق وطرد عامل الضحاك منها، ثم عيى أنصاره وخرج إلى مرج راهط لمواجهة جموع القيسيين، وجرت بين الطرفين مفاوضات بهدف تسوية الموقف صلحاً استمرت عشرين يوماً، وصلت خلالها أنباء استيلاء المروانيين على دمشق وإخراج عامل الضحاك منها وإعلان خلافة مروان فيها، فتوقفت المفاوضات وأخيراً كان لا بد من المواجهة لتقرير المصير وفي الموقعة الشهيرة التي جرت بين الطرفين في شهر ذي القعدة عام ٦٤ هـ شهر حزيران عام ٦٨٤ م تم تدمير قوة القيسيين الذين انهزموا أمام اليمانيين، وقتل الضحاك في المعركة مع عدد كبير من أشرف قس في الشام .. وهرب زفر بن الحارث الكلابي بعد المعركة إلى قرقيسياً وتحصن بها، فلما جاءته خيل مروان عاد ففرّ منها ولحق بالعراق. كما بن بشير إلى حمص فتبعه جماعة من أهلها فقتلوه، وفر نائل بن قيس من فلسطين واستتب الأمر لمروان في الشام وفلسطين ٦٤ / ٢٢٥

ج - نتائج معركة مرج راهط:

كان المعركة مرج راهط، التي انتصرت فيها العصبية اليمانية على القيسية، آثار خطيرة في تجديد العداء التقليدي بين العصبيتين، وإشعال نار الفتنة، في سائر أنحاء العالم الإسلامي، فقامت الحرب بين اليمانية والقيسية في مناطق عديدة من الدولة الإسلامية.

استخلص مروان الشام كلها وبسط نفوذه عليها ، كما خضعت له فلسطين . وكانت خطوته التالية مصر بفعل أهميتها الكبيرة إذ إن استيلاءه عليها سيدعم موقفه في مواجهة ابن الزبير والمعروف أن معظم المصريين كان هواهم مع بني أمية وأن بيعتهم لابن الزبير لم تكن ثابتة، لذلك لم يجد

مروان صعوبة في الاستيلاء عليها بعد تغلبه علنوا ليها من قبل ابن الزبير عبد الرحمن بن جحدم في (شهر جمادى الآخرة عام ٦٥هـ / شهر كانون الثاني عام ٦٨٥ م))، وبعد أن أقام فيها مدة شهرين رتب خلالها أوضاعها الإدارية وعين ابنه عبد العزيز والياً عليها عاد مروان بن الحكم إلى الشام ليواجه خطر ابن الزبير حيث أعد جيشين سير أحدهما إلى الحجاز بقيادة حيش بن دلجة، والآخر إلى الجزيرة بقيادة عبيد الله بن زياد المحاربة زفر بن الحارث بقرقيسياء، فإذا فرغ من الجزيرة توجه إلى العراق للسيطره عليها ويبدو أن جيش الحجاز فشل في دخول المدينة، واستطاع الزبيريون القضاء عليه أما ابن زياد فقد تحرك باتجاه الجزيرة ووافته فيها أنباء نعي مروان. وهكذا عاجلت المنية مروان بن الحكم في مستهل شهر رمضان عام ٦٥هـ شهر نيسان عام ٦٨٥م دون أن يحقق هدفه بإعادة الحجاز والعراق إلى الحكم الأموي، وكان قد عهد بالخلافة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز بعد أن أقنع الكلبيين ممن ساندوا خالد بن يزيد بعدم قدرته على التصدي لابن الزبير، واعتبر ما تم في الجابية من العهد لخالد بن يزيد بعد مروان ومن بعده لعمر بن سعيد، اعتبر هذا أمر ضرورة، وقد زالت الضرورة الآن).